Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(5); May 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
22.04. 2019	13.05.2019	15.05.2019

Socio spatial approach and its role in the study of geographical areas atlantic transformations, case of lower chaouia in Morocco

المقاربة السوسيومجالية ودورها في دراسة التحولات بالمجالات الجغرافية الاطلنتية حالة الشاوية السفلى بالمغرب:

بوعبيد زائرة، طالب دكتوراه / جامعة الحسن الثاني

مُحَّد امدافعي/ استاذ التعليم العالي/ جامعة الحسن الثاني

Bouabid Zaira ,Unversité Hassaan II

Mohammed Mdafai, Unversité Hassaan II

الملخص

يعالج المقال إشكالية التحولات الاجتماعية والمجالية بمنطقة الشاوية السفلى بالمغرب من خلال تبني المقاربة السوسيومجالية،هذا الموضوع يكتسي أهمية كبرى انطلاقا من كونه يناقش فائدة هذه المقاربة في تتبع عملية التحول التي تتم وفق منطق التراكم والسيرورة.أما الأهداف المتوخاة فمضمونها إبراز خصوصيات عملية التحول عبر مراحل مختلفة

ويقوم هيكل المقال بعد تقديم الموضوع على دراسة عنصرين أساسيين هما الأسس المنهجية للمقاربة السوسيومجالية،وقدرة هذه الأخيرة على استيعاب إشكالية التحولات الاجتماعية والمجالية كموضوع جغرافي يعرف دينامية خاصة بمنطقة الشاوية السفلي بالمغرب.ثم الممارسة الاجتماعية داخل المجال الجغرافي التي تفرض اعتماد المقاربة السوسيومجالية والأسس المنهجية التي تقعد لأهمية هذه المقاربة، ومضمون تلك التحولات بمنطقة الدراسة.وفي الأخير نقدم الخلاصات والاستنتاجات التي تم التوصل إليها انطلاقا من مجموعة من المؤشرات المبنية على نتائج البحث الميداني.

الكلمات المفتاحية: الشاوية السفلى،التحولات المجالية والاجتماعية،المقاربة السوسيومجالية.

Abstract

The article addresses the problematic of social changes in lower chaouia in Morocco by adopting an socio spatial approach, this subject is of major importance from being discusses this approach useful in tracking the transformation process carried out in accordance with the logic of accumulation analyzes the objectives. Envisioned content highlighting the peculiarities of transition through different stages.

After the presentation of the article, the structure is based on the study of two key elements of methodological bases of socio spatial approach, and the latter's ability to absorb the problematic social transformations as a dynamic subject in geographical area like lower chaouia. and methodological bases adopted crippling to the importance of this approach, the content of those transformations in the study area, and eventually provide summaries and conclusions reached from a set of indicators based on search results The field.

Key words: lower chaouia, social and spatial transformations, socio spatial approach.

المدخل:

نهدف من خلال هذا المقال إلى دراسة موضوع التحولات الاجتماعية والمجالية بمجال الشاوية السفلى،مجال جغرافي يعرف الكثير من التغيرات لمجموعة من الاعتبارات تربتط أساسا بقربه من الميتروبول الوطني الدار البيضاء.وينحصر مجال الدراسة(الخريطة 1) ضمن الشريط الساحلي الممتد بين سيدي رحال الشاطئ شمال وسيدي علي بن حمدوش جنوبا، و ينتمي جغرافيا للشاوية السفلى وهي جزء من الشريط الولجي الممتد على قسمين جنوبي من الضفة اليسرى لام الربيع إلى تانسيفت، وشمالي من الضفة اليمنى لام الربيع إلى جنوب القنيطرة، وتنتمي منطقة الدراسة للجزء الشمالي الولجي.

الخريطة 1 : توطين مجال البحث

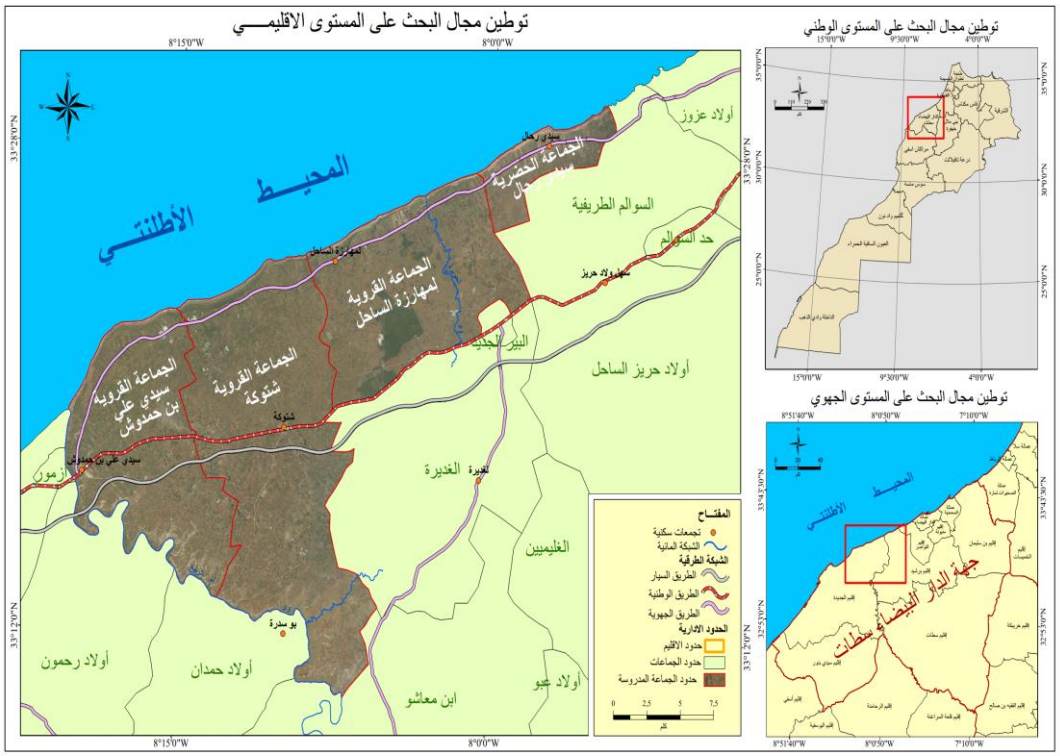

المصدر: بوعبيد زائرة، باعتماد مرئيات فضائية محملة من برنامج (Google Earth 2016)

ومن الناحية المنهجية اعتمدنا المنهج الوصفي الذي له فائدة كبرى في مقاربة مثل هذه الظواهر حيث يساعد على تحديد مختلف العناصر والمكونات الأساسية المؤدية إلى توصيف ظاهرة[1] (مُحَمَّد صلاح الدين وآخرون،2010: 3)، كما وظفنا الجانب التحليلي بهدف دراسة العلاقات التبادلية بين العناصر المشكلة للمجال موضوع الدراسة، مع إعطاء مختلف التفسيرات للوضعيات المتباينة لهذه المجالات المجاورة لمدينة الدار البيضاء. إلى جانب هذا تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يفيدنا كثيرا في فهم دينامية هذه المجالات انطلاقا من العوامل الأولية التي أدت إلى حدوثها، فالظواهر الاجتماعية كثيرا ما نحتاج في فهمها إلى دراسة التطور التاريخي للمعطيات المرتبطة بها، بمعنى آخر اعتماد المقاربة التطورية التي تساعدنا على فهم سيرورة التحولات من خلال عملية تتبعها[2]- (امدافعي ، 2002 : 12).

أولا: المقاربة السوسيومجالية ودورها في دراسة التحولات الاجتماعية والمجالية

دواعي اعتماد المقاربة السوسيومجالية

ترتبط عملية تنظيم المجال بإيجاد العلاقة بين الجانب المادي للمجال من خلال المجال المعيش الذي تعبر عنه الممارسات الاجتماعية والتيارات والتوطين، والتصور الذي يحمله الأفراد والمجتمع عن المجال أي التمثلات المجالية.

وتقوم الجغرافيا على البناء المستمر للعلاقة بين المجتمع والمجال، أي أن المشروع الجغرافي يهدف إلى فهم الكلية الاجتماعية في بعدها المجالي، تلك الكلية يتم التعبير عنها بما يعرف بالممارسات الاجتماعية داخل

1 –صلاح الدين مُحَمَّد وآخرون ،2010 خطوات البحث العلمي ومناهجه ،منشورات جامعة الدول العربية

2- امدافعي مُحَمَّد (2002) ،التحولات المجالية ودور المؤسسة المجالية في تدبير المجال ، حالة ضاحية الدار البيضاء ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال

المجال التي تنتج ظاهرة التقسيم السوسيومجالي. هذه الحقيقة التي يتفق حولها الباحثون المتخصصون في تحليل التمايزات الاجتماعية، تقوم على دراسة تلك التمايزات المبنية على ثلاثة أبعاد هي: التراتبية السوسيومهنية، البعد الاثني للتمايزات والبعد الديمغرافي

أسس المقاربة السوسيومجالية

يتطلب تحليل الأنظمة المجالية دراسة العلاقات بين الفاعلين داخل المجال الذي يقيمون به، ويعملون على إعداده وتطبيق مجموعة من الممارسات والسلوكات داخله في إطار عملية إنتاج المجال. وبذلك فالبعدين المجالي والاجتماعي الذين يظلان متداخلين يقعان في صلب التحليل الجغرافي للتحولات الاجتماعية (Valette E ,2003 :33)[i3]

تنبني المقاربة السوسيومجالية، كمقاربة استقرائية واستنباطية على أدوات التجريد لنمذجة البنيات المجالية، أي البحث عن القوانين العامة لتنظيم المجال، أدوات تساعد على فهم المبادئ المنظمة للمجال أو المجالات باختلاف مستويات المجال التي تتم دراساتها وتنظيمها، فهدف التحليل المجالي هو وصف التنظيم الخاص بالموضوعات داخل المجال، وتنظيماتها المجالية، وتحديد البنيات، وتفسير كيفية توطينها.

وتعتمد المقاربة السوسيومجالية على مجموعة من الأدوات والميكانيزمات، هذه الأخيرة التي تمكن من تحديد بنية المجال وكيفية تطوره نلخصها في: الكثافة السكانية بمختلف الوحدات المجالية، التقطيعات السوسيوالمجالية الكبرى أي التمييز بين الفئات الغنية والوسطى والهشة داخل المجال، تأثير التدخلات العمومية على الحركية الاجتماعية داخل المجال، وأخيرا انعكاسات توفير التجهيزات الاجتماعية على وضعية تلك الفئات داخل المجال.

ثانيا : نتائج الدراسة

[3] - Valette E ,2004 ,pour une analyse géographique de l'innovation sociale, l'exemple des territoires ruraux périurbains de la garrigue nord-américaine, thèse de doctorat de Géographie, université paris VII-Denis Diderot.

تعبر التحولات الاجتماعية عن خصوصيات مجال الدراسة

ترتفع نسبة النمو الديغرافي بمكونات مجال الدراسة

النمو المرتبط بالتزايد الطبيعي وبالتالي بالنمو الديمغرافي له دور في استهلاك المجال، فمجال الدراسة يعرف توسعا للمجالات الواقعة تحث تأثير الأنشطة البشرية، وهنا نميز بين الأصناف التالية : المجال المخصص للنشاط الفلاحي الذي يعرف وضعيات مختلفة فيتسع ويضيق تبعا للإمكانيات المتوفرة للمستغلين، والمجال الذي يشكل إطار لتوسع السكن بمختلف أنواعه وهنا نؤكد على أن السكن السياحي يظل الأكثر استهلاكا للمجال الممتد على طول الشريط الساحلي، والمجال الذي تقام عليه التجهيزات الذي يظل جزء منه شاغرا دون إقامة تلك التجهيزات.

فالنمو الديمغرافي بالجماعات الترابية المشكلة لمجال الدراسة والواقعة بجوار مدينة الدار البيضاء ، النمو يسجل معدلات مرتفعة مقارنة مع مركز المدينة –الميتروبول، فهو يتجاوز مثلا 3 % كمتوسط خلال الفترة البيإحصائية 2004- 1994في جماعة سيدي رحال الشاطئ.هذا النمو الذي يظل مرتفعا مقارنة مع جماعات مركز مدينة الدار البيضاء يشكل القاعدة الديمغرافية التي تنبني عليها عملية التحولات الاجتماعية والمجالية.

تتعدد أشكال التجمعات السكانية

يعرف الشريط الساحلي الممتد بين سيدي رحال الشاطئ وسيدي علي بن حمدوش الكثير من التحولات المرتبطة بحركية السكان داخل المجال ، جزء من هذه التحولات يؤثر على شكل التجمعات السكانية. وانطلاقا من المعطيات الإحصائية التي توفرها الاحصاءات الرسمية، ومباشرتنا للميدان من خلال الدراسة الميدانية، يمكن لنا أن نجمل استنتاجاتنا المرتبطة بأشكال التجمعات السكانية في :

- غلبة التجمعات السكانية الصغرى فما يزيد على 40 تجمع سكاني يقل عدد الأسر بالواحد منها عن 100 أسرة.

- قلة التجمعات التي يتجاوز عدد الأسر بها 300 أسرة، فهذا العدد لا يتجاوز26 تجمع من المجموع العام.
- تقتصر التجمعات التي يتجاوز فيها العدد 1000 أسرة على حي الشرف بجماعة سيدي رحال الشاطئ ودوار الكوحل بجماعة سيدي علي بن حمدوش.
- توزيع لفئات التجمعات السكانية بشكل متوازن داخل جماعة سيدي رحال الشاطئ.
- توقف متوسد عدد الأسر بالتجمعات السكانية بجماعة شتوكة عند عتبة 400 أسرة.
- تميز جماعة سيدي علي بن حمدوش بالتجمعات السكانية التي يتجاوز فيها المتوسط 400 أسرة.

تتباين الأصول الجغرافية للسكان حسب أقسام مجال الدراسة

تتأثر عميلة التحول بشكل عام بالكثير من المتغيرات ومنها الأصول الجغرافية للسكان للمجال، هذا المتغير يؤدي عملية مزدوجة ، فهو في الاتجاه الأخر يتأثر بذاك التحول.وانطلاقا من معطيات البحث الميداني تأكدت لدينا بعض الخلاصات الأولية نشير إليها في الجدول 1.

الجدول 1: توزيع أفراد العينة حسب الأصول الجغرافية لأرباب الأسر

	العدد	النسبة
جماعات الدراسة	345	62.9
مدينة الجديدة	7	1.3
إقليم الجديدة	19	3.4
الدار البيضاء	117	21.3
خارج جهة الدار لبيضاء- سطات	59	10.7
خراج المغرب	1	0.18
المجموع	548	100

المصدر : البحث الميداني غشت 2017

نخرج بفكرتين أساسيتين من خلال معطيات الجدول1 يمكن توضيح العناصر المتعلقة بهما من خلال التفسيرات التالية:

- تغلب على الأصول الجغرافية لسكان مجال الدراسة الأصول المحلية ، أي أن السكان في اغلبهم ينتمون للقبائل المستقرة منذ قرون بهذا الشريط الساحلي، خاصية تجد تفسيرها في غلبة الطابع الريفي على مجال الدراسة. هذا الأخير رغم وقوعه ضمن المجالات التي تشهد سرعة للتحولات أي قدرته على جذب ساكنة من خارج نطاقه الجغرافي لكن تظل الساكنة المحلية مهمة تمثيليا. ونشير أيضا إلى أن الجاذبية المجالية ريفيا ترتبط بفترات سابقة حيث كانت المنطقة تحظى باهتمام فلاحي رسمي حيث تم إقحام هذا الشريط ضمن المناطق المنتجة للمواد الفلاحية المعدة للتصدير.
- يسجل مجال الدراسة حضورا مهما للسكان القادمين من الدار البيضاء، وهنا يتعلق الأمر بالفئات المقيمة بشكل مؤقت وهو السائد أو بشكل دائم في اقامات السكن السياحي،فخمس السكان ترجع أصولهم إلى مدينة الدار البيضاء أي أن مقر إقامتهم الرئيسي هو الدار البيضاء أو أنهم كانوا مستقرين بالدار البيضاء قبل انتقالهم للإقامة بالوحدات المجالية الصغرى المشكلة لمجال الدراسة.

تتزايد جاذبية المجال للسكان عبر الفترات التاريخية

عرف المجال قيد الدراسة فترتين مهمتين على مستوى تاريخ الاستقرار بعد الاستقلال، الأولى خلال الستينات وارتبط الأمر بعودة شروط الاستغلال الفلاحي بعد خروج المستعمر ومثل المعنيون بهذه الفترة ما يقارب 20% من أفراد العينة، والثانية خلال القرن الحالي نتيجة التزايد جاذبية المجال سياحيا وعقاريا خصوصا مع قرب جزئه الشمالي من الدار البيضاء، وأيضا الاكراهات التي تعيشها مدينة الدار البيضاء على المستوى العقاري مما دفع ببعض السكان للانتقال إلى جماعة سيدي رحال الشاطئ خاصة مع ظهور بعض ملامح الحياة الحضرية هناك، انتقال هم 23% من أفراد العينة.

وهكذا نسجل الارتباط الوثيق بين قدم الاستقرار والنشاط الفلاحي، وأيضا بين حداثة التعمير والقطاع السكني بأنواعه الثلاث مع مساهمة كبيرة للسكن السياحي. فالعلاقة الأولى تتأكد باستقرار 146 أسرة من مجموع 241 أسرة فلاحية خلال العقدين الأول والثاني لما بعد تاريخ الاستقلال أي ما نسبته 60% مقابل 8 فقط خلال القرن الحالي، والعلاقة الثانية تتبين من خلال مساهمة المستقرين خلال العقدين الأول والثاني من القرن21 ب57% من العينة الخاصة بالسكن أي ما مجموعه 175 أسرة من أصل 307 مقابل 52 أسرة خلال الفترة الممتدة بين 1960 و1980، وتتأكد العلاقة أكثر بالحديث عن مساهمة السكن السياحي، هذا الأخير يمثل ما نسبته 36.8% من العينة السكنية على هذا المستوى.

تتأثر التحولات بالخصوصيات السوسيومهنية

تتميز التركيبة السوسيومهنية لمجال الدراسة بتشعب وتعدد الأنشطة الاقتصادية التي يتعاطى لها السكان، ويعتبر ذلك مؤشرا عن عمق التحولات التي يعرفها هذا المجال. هذا الأمر مرده إلى الخصوصيات التي تميز هذا الاخير من حيث موقعه الجغرافي وموضع السكن، ونوعية المجال من حيث ترتيبه إداريا أو جغرافيا، ونقصد هناك القرب من الدار البيضاء، والتموقع ضمن طبغرافية منبسطة تساعد على إقامة نشاط فلاحي مستمر، والاستفادة من شبكة المواصلات المتنوعة. وبصورة عامة فمخاض التحول الذي يعرفه هذا المجال يجعل الأنشطة الاقتصادية تتنوع، بل تظهر أنشطة جديدة انسجاما مع تغير وظائف المجال من الوظيفة الفلاحية إلى وظائف أخرى منها السياحية والعقارية.

تؤدي الخصوصيات التعليمية عملية مزدوجة في علاقتها بالتحولات

تشكل المعطيات المرتبطة بالجانب التعليمي عنصرا مهيكلا لعملية التحول التي يعرفها المجال الجغرافي بمختلف مستوياته، فالمستوى التعليمي لأرباب الأسر يؤدي وظيفة تاطيرية للتحولات الاجتماعية والمجالية ، ولدراسة ذلك بالنسبة لموضوع التحولات بالشريط الساحلي ننطلق من معطيات الجدول2.

الجدول 2 : المستوى التعليمي لأرباب الأسر

	العدد	النسبة
بدون	217	39.6
كتاب	49	8.9
ابتدائي	95	17.6
إعدادي	49	8.9
ثانوي	37	6.7
جامعي	101	18.4
المجموع	548	100

المصدر : البحث الميداني غشت 2017

نسجل من خلال المعطيات الواردة في الجدول 2 ملاحظة أساسية ترتبط بتسجيل أعلى الأرقام بالنسبة لفئتين هما: الفئة التي لم تتلق أي تعليم وتمثل 39.6 % ، والفئة التي تلقت تعليما جامعيا. هذه الملاحظة تفسرها ثنائية المجال الفلاحة- السكن السياحي. فالمجال المخصص للنشاط الفلاحي تعاني ساكنته من الأمية وهو أمر له دلالته حيث أن الاهتمام بالوسط الريفي على مستوى التجهيزات والخدمات العمومية بشكل عام ظل غائبا لعقود بعد الاستقلال، وضعية جعلت الأرياف المغربية وضمنها أرياف الشاوية السفلى تعاني من تأخر تتم محاولات عديدة لتداركه منذ نهاية الألفية السابقة.

وفيما يخص الفئة الثانية فوضعيتها ترتبط بحضور أفراد من الطبقتين الوسطى والغنية الذين تلقوا تعليما عاليا عموميا أو خصوصيا بمدينة الدار البيضاء، وساعدتهم ذلك على تبني أنماط جديدة للعيش مفادها ضرورة الحصول على مسكن ثانوي يوفر فرصة للتخلص من منغصات الحياة الحضرية بالدار البيضاء خلال عطلة نهاية الأسبوع. هذه الفئة تمثل 18.4 % من مجموع أفراد العينة وتساهم في حلحلة صفة تدني المستوى التعليمي الذي تسجله الأرياف وضمنها الأرياف الواقعة جوار المدن الكبرى، وبالتالي تؤدي دورا مركزيا في

تعجيل سيرورة التحول، لكن الواقع لا زال يحمل تهميشا لهذه الفئة بحكم أن بعض المجالس الجماعية المدبرة للشأن المحلي تتحكم فيها العلاقات القبلية.

يكتسب مجال الدراسة خصوصياته من عمق التحولات المجالية

يتجه الإنتاج الفلاحي إلى التحول من المزروعات السقوية إلى الأنماط البورية

تتوفر المنطقة على خصوصيات مناخية وترابية ظلت تلائم إقامة النشاط الفلاحي خلال عقود من الزمن، بل إن بعض الدراسات التاريخية تشير إلى أهمية الإنتاج الفلاحي بهذا المجال منذ قرون. لكن التحولات الهيكلية التي عرفتها الفلاحة المغربية، وتأثير التغيرات المناخية جعل الفلاحة تعرف تحولات كثيرة وعلى مستويات عديدة. فالعوامل الهيكلية ارتبطت بتراجع دور الدولة في تاطير الفلاحين ودعمهم ماديا وتوجيههم على مستوى تبني مكونات الدورة الزراعية، والعوامل ذات الصلة بالتغيرات المناخية ارتبطت بتوالي فترات الجفاف وتأثير ذلك على حجم المياه القابلة للتعبئة وبالتالي للاستعمال الفلاحي بل دون الوصول إلى ذلك تراجع حجم التساقطات التي تظل المورد الأساسي الذي يعتمد عليه الفلاحون لتدبير حاجياتهم من المياه. ونتيجة لكل ذلك نبرز بعض جوانب التحول التي عرفتها لفلاحة كمؤشر مجالي، جوانب لها علاقة بالإنتاج حجما وبنية وتسويقا وقبل بالمساحة المستغلة من اجل تحقيق هذا الإنتاج، وسنكتفي هنا بما يخص المعطى الاخير أي المساحة المستغلة، وهو ما تشير إليه معطيات الجدول3.

الجدول 3: تطور مساحة مزروعات البستنة بين سنتي2005و2015.

الموسم الفلاحي	جماعة سيدي علي بن حمدوش		جماعة هشتوكة		المجموع	
	الخضروات الفصلية	البواكر	الخضروات الفصلية	البواكر	الخضروات الفصلية	البواكر
2005/2006	870	505	1145	940	2015	1445
2007/2008	690	309	1005	474	1695	783
2008/2009	580	290	900	460	1480	750
2011/2012	590	273	980	471	1570	744
2012/2013	572	242	1078	386	1650	628
2013/2014	475	220	980	330	1455	550
2014/2015	350	170	780	300	1130	470

المصدر: مركز الأشغال الفلاحية ازمور

نستدل على تحول المساحة المستغلة بمجال الدراسة والتحولات التي عرفتها وفق المعطى الزمني بما شهدته الجماعتين الترابيتين هشتوكة وسيدي علي بن حمدوش اعتبارا لكون النشاط الفلاح بهما يسجل وضعية متميزة مساحة وإنتاجا مقارنة مع الجماعتين الترابيتين المهارزة وسيدي رحال الشاطئ.

يسجل الإنتاج الفلاحي تراجعا مستمرا من حيث حجمه وخصوصا بالنسبة للمنتوجات التي ظلت تميز المنطقة انسجاما مع خصوصياتها المناخية ، نقصد هنا الخضروات والبواكر. هذين الصنفين ظلا مهيكلين

للمشهد الفلاحي منذ السبعينيات تاريخ بداية اهتمام الدولة بالولجة أي المنطقة الفلاحية الممتدة بمحاذاة الساحل انطلاقا من جنوب الدار البيضاء إلى ازمور (الخريطة 2) إلى حدود التسعينات حيث تضاعفت مشاكل الفلاحين ارتباطا بتراجع دعم الدولة وترك المستغلين في مواجهة خاصة مع الشروط المستعصية للممارسة النشاط الفلاحي، أما السبب الثاني المفسر لتراجع دور المنطقة فلاحيا فله علاقة بالتأثيرات السلبية للتغيرات المناخية التي كان من نتائجها تراجع مستوى الفرشة الباطنية وتزايد ملوحة مياه هذه الفرشة خصوصا مع قربها من البحر وبالتالي إمكانية تسرب المياه المالحة تزداد أكثر.

نعود إلى الأرقام الواردة في الجدول 3 للتأكيد على التراجع الفلاحي الذي يعرفه مجال الدراسة على مستوى المساحة الزراعية المستغلة في إنتاج نوعين رئيسيين من المنتجات، فالخضروات الفصلية تناقصت مساحتها بمعدل النصف حيث انتقلت من 2015 إلى 1130 هكتار مع تفاوت بين الجماعتين حيث كان التراجع أكثر بجماعة سيدي علي بن حمدوش ووصل إلى 450 هكتار أما المساحة المستغلة في هشتوكة ففقدت 365 هكتار.

وبالنسبة للبواكر أي المنتوجات التي تصل إلى مرحلة النضج بشكل مبكر حيث تستفيد من شروط مناخية متميزة مقارنة مع مناطق أخرى داخل منطقة البحر الأبيض المتوسط وليس المغرب فحسب ، فان التراجع الذي شهدته على مستوى المساحة المستغلة فقد تم بمعدل أكثر ، حيث تناقصت المساحة بما يزيد عن ثلاث مرات منتقلة من 1445 إلى 470 هكتار بين سنتي 2005 و2015 أي خلال عقد من الزمن بمعدل 97 هكتار سنويا تفقدها المساحة الزراعية المخصصة لهذا النوع من المزروعات الذي ظل يدر على المنطقة مداخيل مالية كبرى خلال عقدي السبعينات والثمانينات ليترك المجال حاليا لأنواع زراعية أخرى ذات ربحية اقل ، وفي مرحلة متقدمة أي خلال الألفية الحالية لأنشطة اقتصادية جديدة جزء منها يرتبط بالاقتصاد السياحي.

الخريطة2 : توطين مجال الدراسة ضمن الشاوية السفلى

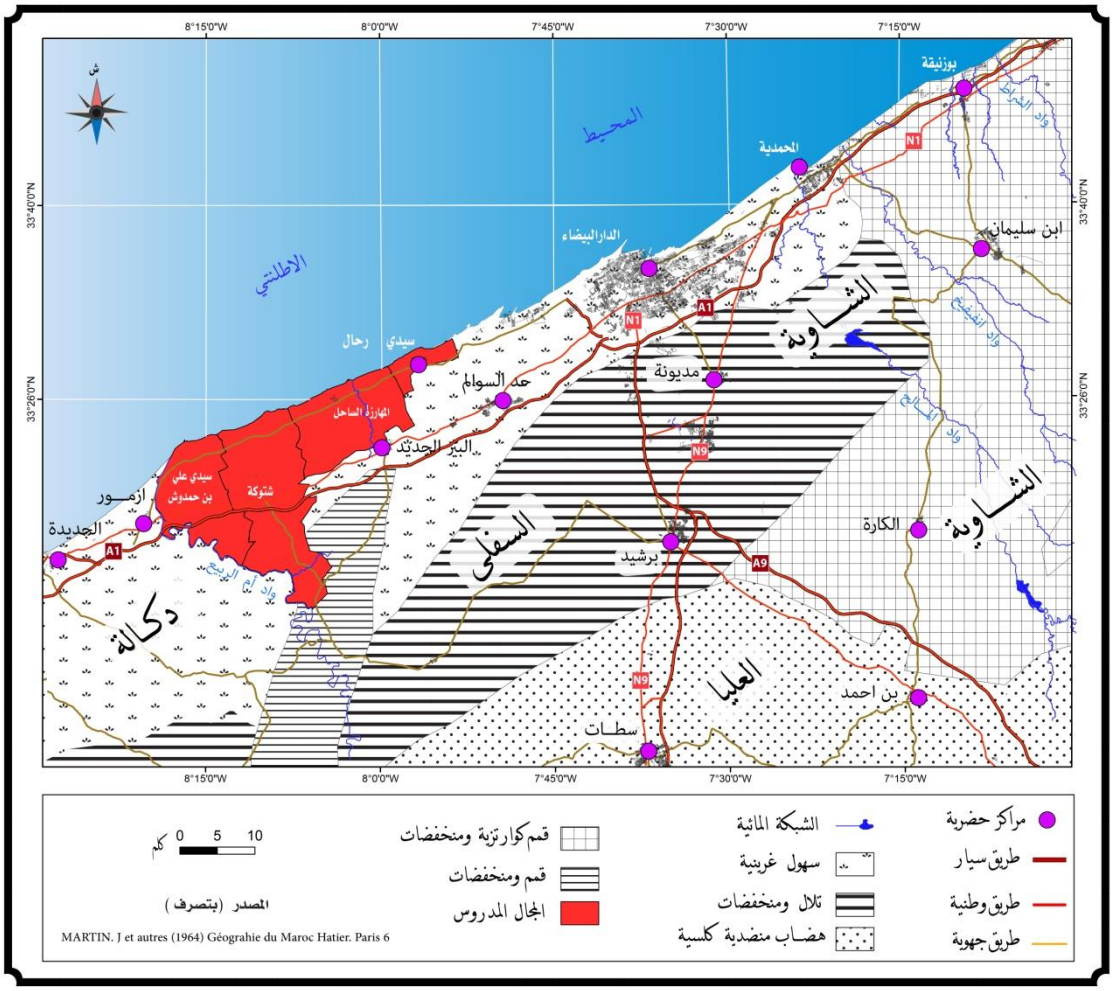

تتعدد عوامل انتشار السكن السياحي

شهدت منطقة الشاوية السفلى على مستوى جزئها الساحلي ظاهرة جديدة خلال الألفية الحالية ترتبط بظهور صنف حديث من السكن يعرف بالسكن السياحي، هذا الأخير ترجع أسباب ظهوره إلى الإمكانيات التي يتيحها المجال طبيعيا وعقاريا من جهة ، والمتغيرات التي لها علاقة بمناطق الانطلاق أي الدار البيضاء التي تؤدي مشاكلها العقارية والبيئية والديمغرافية إلى بحث بعض الأسر عن مجالات جديدة للإقامة ولو بشكل مؤقت، وإجمالا نوجز تلك الأسباب في :

- ✓ المتغير الديمغرافي : إن النمو الديمغرافي الذي تشهده جهو الدار البيضاء–سطات باعتبارها مركزا للجذب اقتصاديا جعل العديد من الأسر تضيق بالعيش بالمناطق المكتظة وخاصة الدار البيضاء ، فكان التفكير في الانتقال للعيش بالاقامات السكنية السياحية مؤقتا في انتظار الاستقرار النهائي.
- ✓ المتغير السكني : إن طبيعة ونوعية المساكن التي تقيم بها الأسر البيضاوية داخل الدار البيضاء خلقت شروطا للاحتقان ، لذلك تم التوجه إلى خيار بناء مشروع سكني مستقبلي بهذه الجماعة .
- ✓ المتغير الطبيعي : يظل أساسي حيث تمتد المنطقة التي تستهوي المقيمين بتلك الاقامات السياحي على الساحل، هذه الخصوصية تشكل مفتاحا للشركات العقارية أثناء مرحلة الترويج إشهاريا لهذه الاقامات السكنية. كما يمتد بالمنطقة شريط غابوي يؤدي دوره التمكيلي في جذب المزيد من المتضايقين من فرط نقص المساحات الخضراء بمكان الإقامة الرئيسي أي الدار البيضاء.

يتزايد دور السكن الصفيحي في هيكلة المجال

أدى التمدد الحضري الذي تعرفه الدار البيضاء إلى توسع في كل الاتجاهات، هذا التوسع يتخذ أشكالا مختلفة ويؤدي إلى نشأة العديد من التجمعات السكنية ، البعض منها تمت ترقيته إلى مجالات حضرية والأخر يدخل في إطار التمدين الوسيطي، وهناك مجالات أخرى يغلب عليها الطابع الريفي لكنها تساهم في التخفيف من الضغط السكني المتزايد على الدار البيضاء. في هذا السياق ظهر مركز سيدي رحال الشاطئ الذي تمت ترقيته مؤخرا إلى مدينة، مجال حضري يشهد توسعا غير مسبوق خلال العقدين الأول والثاني من القرن الحالي، لكن ما يميز هذا التوسع المساهمة البارزة للسكن العشوائي. هذا الصنف من السكن يتمدد جزء كبير منه في شمال المدينة قبل أن يتم تبني مشروع إعادة الهيكلة خاصة بالنسبة لدوار الشرفاء ، وجزء آخر يرتبط بوجود دواوير تمتد بالقرب من حي سكني يشكل نطاقا حضريا صغيرا داخل المدينة ويعرف بمركز ابن سعدون، ونذكر هنا دواري مول علام وخوان.

وفي جانب آخر أي الجزء الجنوبي من مجال الدراسة يعرف المجال الحضري لمدينة ازمور انحسارا وهو ما كان له دور في ظهور المركز الناشئ لسيدي علي بن حمدوش، هذا الأخير يغلب عليه على المستوى السكني نمط السكن العشوائي، وتتجه الأمور منذ السنوات الأخير نحو ظهور الأحياء السكنية القانونية الخاضعة في هيكلتها لمقتضيات التعمير. وتتعدد الأحياء السكنية والدواوير العشوائية التي ترجع في نشأتها إلى هجرة ريفية متنامية انطلاقا من الجزء الريفي من جماعة سيدي علي بن حمدوش في اتجاه الجزء الحضري منها الذي بمركز سيدي علي.

ويرجع ظهور هذه الأحياء العشوائية إلى فترات مختلفة، فبغض النظر عن قدم بعض الدواوير مثل البام بمركز سيدي علي، فان توسع وتزايد هذه الدواوير يرتبط في الكثير من الحالات بالفترات الانتخابية، وأيضا مرحلة تصاعد الاحتجاجات الاجتماعية انعكاسا لتدهور الوضع الاجتماعي للكثير من الأسر خصوصا بعد تراجع النشاط الفلاحي بمنطقة الولجة وانسداد الأفاق أمامها لتقرر الهجرة نحو مركز سيدي علي الذي يظل موسوما بالطابع الفلاحي من حيث طبيعة الأنشطة التجارية السائدة به والخدمات المقدمة للمترددين عليه. ولتوضيح الأسباب المنتجة للسكن العشوائي، ننطلق من معطيات الجدول 4.

الجدول4: أسباب انتشار السكن الصفيحي

الأسباب	المجموع	
	العدد	النسبة
الفقر	75	57.69
قلة السكن المتاح	40	30.76
السببين معا	10	7.69
تهاون السلطة	5	3.84
المجموع	130	100

المصدر : البحث الميداني غشت 2017

تكشف الأرقام التي يعبر عنها الجدول 4 والخاصة بالأسباب المنتجة للسكن العشوائي، عن خاصيتين تميزان الوضع المغربي اجتماعيا وسكنيا، وتؤديان إلى تعميق مشكل السكن الهامشي ومحاولة تحويله إلى ما يشبه ظاهرة طبيعية، والواقع أنه نتاج لسياسة سكنية تعرف مراحل مستمرة من الفشل ولو جزئيا رغم تعدد البرامج السكنية وتنوع الاستراتيجيات المتضمنة ضمنها هذه البرامج. وإجمالا نفسر انتشار السكن العشوائي بالشريط الساحلي الممتد بين المجالين الحشريين لسيدي رحال الشاطئ وسيدي علي بن حمدوش، بعاملين رئيسيين أولهما وهو الغالب يرتبط بتفشي ظاهرة الفقر. والواضح هنا أن هناك مساهمة من الوسطين الريفي والحضري. فأزمة الفلاحة ألقت بالأسر إلى دائرة الفقر ، وللتخفيف من ذلك تم الانتقال إلى مركز سيدي علي لكن الوضعية لم تتغير كثيرا لذا لم يكن من مصير غير الارتماء بين مساكن تفتقر لشروط العيش الكريم ، كما أن ارتفاع مستوى العيش وأسعار المساكن بمدينة الدار البيضاء حكم على بعض الأسر بالتقهقر ضمن السلم الاجتماعي، أمر دفع بهاته الفئة إلى الهجرة نحو سيدي رحال الشاطئ وبالتالي البحث عن مساكن تراعي قدراتها المادية وهو ما توفره مساكن السكن العشوائي.

خاتمة

تظل المقاربة السوسيومجالية مهمة لدراسة الكثير من الإشكاليات الجغرافية ذات الطابعين الاجتماعي والمجالي، وتتزايد أهميتها بالنسبة للمجالات الجغرافية التي تشهد تحولات مستمرة ومتشابكة المظاهرة، ويعتبر الشريط الساحلي- كمجال جغرافي اثروبولجي- الممتد بين سيدي رحال الشاطئ وسيدي علي بن حمدوش بالشاوية السفلى جنوب الدار البيضاء وشمال الجديدة، مجال معبر أكثر عن قدرة تلك المقاربة على محاورة الموضوعين الاجتماعي والمجالي. وتبين لنا بناء على الإمكانيات التي تتيحها تلك المقاربة، أن هذا الشريط يتجه ديمغرافيا نحو نمو أسرع مقارنة مع مركز المدينة ، وسكنيا سيادة لمراكز التجمع السكني الصغرى ريفيا من جهة، وتوسع لنمطين متناقضين للسكن هما السكن العشوائي والسكن السياحي من جهة أخرى، أما مجاليا فالفلاحة تتحول من فلاحة سقوية تصديرية إلى فلاحة بورية توجه اغلب إنتاجها نحو السوق المحلية خصوصا الدار البيضاء بحكم قربها من مجال الدراسة.

المراجع

-امدافعي ،مُحَّد .(2002) .التحولات المجالية ودور المؤسسة المجالية في تدبير المجال ، حالة ضاحية الدار البيضاء .أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.

-- ايت حمو، سعيد.(2006). تراتب المجال حول الدار البيضاء وانعكاسات تمدين احوازها على الفلاحة" أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا. جامعة الحسن الثاني , المحمدية

-صلاح الدين مُحَّد، وآخرون .(2010) .خطوات البحث العلمي ومناهجه ،منشورات جامعة الدول العربية.

- شويكي ،المصطفى (2004).السكن غير اللائق المفاهيم والدلالات ،السكن غير اللائق بالدار البيضاء .الاتحاد الجغرافي المغربي .منشورات فرع الدار البيضاء-سطات

- Alexandre, Mignote . (2004) .entre fragmentation et interconnexion territoriale .thèse de doctorat en géographie .université joseph Fourier Grenoble 1 science et géographie.

- Lionel, Rouge. (2005). accession a la propriété et modes de vie en maison individuelle des familles modestes installées en périurbain lointain toulousain les captifs du périurbain .thèse de doctorat de Géographie ,université de Toulouse 2-le Mirail.

-Valette, Elodie .(2004) .pour une analyse géographique de l'innovation sociale, l'exemple des territoires ruraux périurbains de la garrigue nord-américaine. thèse de doctorat de Géographie, université paris VII-Denis Diderot.